الفصل الثالث

الحوريون: دولة ميتاني

لا يزال معنى اسم «الحوريين» حتى الآن غير معروف. إن محاولات التفسير العديدة التي أجريت تفتقر إلى برهان مقبول. من تلك التفسيرات مثلاً هو صلة الاسم بكلمة: خروي huradi التي تعني «الجندي اليقظ» إذا ما سلمنا بأن هذه الكلمة - ترد في النصوص الحورية والأورارتية، وكذلك في الأكادية المتأخرة (ولا سيما في اللهجة الأشورية) وفي الأوغاريتية.

وقد كشفت الحفريات الأثرية التي في عام 1906 في العاصمة الحثية حاتوشا hattusa حالياً بوغازكوي bogazkoy عن وجود اتفاقيات دولية مكتوبة باللغة الأكادية. وقد تمكن الباحثون، الذين درسوا هذه الوثائق، من معرفة وجود أرض أو بلاد تسمى «أرض حوري» و«أناس من حوري».

يعدُّ الحوريون من أهم شعوب الشرق القديم، ويشكل تاريخهم صفحات أساسية من تاريخ سورية خلال الألف الثاني ق.م، ولكن المصادر غير الكافية هي سبب قلة معارفنا عن لغتهم وتاريخهم وحضارتهم، قياساً إلى ما نعرفه عن شعوب أخرى، مثل السومريين والبابليين والآشوريين... الخ.

ويرى الدكتور فيليب أنه من الجماعات التي تألف منها خليط الهكسوس كانت جماعة الحوريين[1]. وهم شعب لا سامي ولا هندي أوروبي ولا يزال أصله مجهولاً. وكانت حضارتهم من أكثر العناصر حيوية في أواخر عصر الهكسوس والفترات التالية مباشرة. وقد أتى الحوريون في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد من المناطق الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من بلاد الرافدين، ووقعوا تحت تأثير كبير للثقافة السومرية - الأكادية، ولعبوا في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد دوراً مهماً في نقل هذه الثقافة إلى سورية وآسيا الصغرى. وقد يكون ظهور الحوريين في بلاد الهلال الخصيب متصلاً بالحركة العامة التي أتت بالهنود الإيرانيين إلى فارس، والتي فرضت نزول الكاشيين من زاغروس إلى بابل.

أتى الحوريون من المرتفعات الجبلية الواقعة شمال شرقي الهلال الخصيب بين بحيرة أورمية وجبال زاغروس، وفي أواخر القرن الثامن عشر غزوا شمال

1- دكتور فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج، ترجمة د. جورج حداد و د. عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص 161.

بلاد الرافدين وسكنوها، ومنها اتجهوا إلى شمال سورية؛ حيث أسسوا إحدى الممالك القوية في الشرق الأدنى. وكان الأموريون قبل ذلك قد سكنوا ذلك القسم من سورية.

مملكة ميتاني:

وقد نجح الحوريون حوالي 1500ق.م في تأسيس مملكتهم هناك، وتسمى مملكة ميتاني، التي بلغت قوتها حداً كبيراً، وامتد حكمها من البحر المتوسط إلى مرتفعات ميديا وتضم بلاد آشور. وكانت عاصمتها (واشوكاني) ويظن أن موقعها هو الفخارية على الخابور شرقي تل وحران. وكان مركزها الرئيس في بلاد الرافدين أربخا arrapkha (كركوك الحديثة). وقد جرت الحفريات في ضاحيتها (نوزو)، وهي اليوم يورغان تبه على بعد عشرة أميال شرقي كركوك. وكان المصريون يعرفون ميتاني باسم نهارين[1]. وقد تم العثور في نوزو أو نوزي وفي ألالاخ التابعة لمقاطعة موكيش أيضاً على وثائق مكتوبة، كان قد ذيلها الملك شاوشتار بخاتمه الخاص أو بخاتم سلفه شوتارنا الأول الذي يعتبر أقدم ملك ميتاني معروف لدينا حتى الآن. وتبعاً لذلك فقد كانت المملكة الميتانية بكل تأكيد مركز الدولة الحورية في شمال ما بين النهرين، إذ انضمت تحت لوائها الدويلات الصغيرة الأخرى في الشرق والغرب. وبصورة خاصة فقد خضعت بلاد آشور إلى سلطة الملك الميتاني في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حيث لم يكن ملوك آشور أكثر من ملوك اسميين تابعين، وذلك إن صح ما تذكره تلك المعاهدة التي عقدت بين الحاكم الميتاني المتأخر متي - وازا والملك الحثي شو بيلو ليوما: إن شاو شتار قد أحضر من مدينة آشور باباً من الذهب والفضة ليضعه في قصره في عاصمة بلاد الميتانيين المسماة بـ «واشوكاني».

وإذا استثنينا شاوشتار نجد ملوكاً ميتانيين عديدين لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم. يدلنا أرشيف تل العمارنة أن علاقات ودية ومصاهرة قد أقيمت بين البيوت الملكية المصرية والميتانية في عهد تحوتمس الرابع وأمينوفيس الثالث. كما ونجد أيضاً أن شوتارنا الثاني، الخلف الثاني لـ «شاوشتار» يبعث الربة الكبرى عشتار إلهة نينوى إلى فرعون مصر ليتبارك هذا ولتجلب له الصحة والعافية. وهذا ما يثبت لنا أيضاً أن بلاد آشور كانت تتبع المملكة الميتانية[2].

دور الميتانيين وسياستهم في سورية:

كانت ميتاني تشمل على الأقل طور عابدين وربما السهول الواقعة حول ديار بكر، وتمتد في الشمال حتى بلاد إشووا ISUWA (حالياً منطقة بحيرة كيبان في

1- المرجع السابق، ص 162.

2- أنطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، مرجع سابق، ص 204-205.

تركيا) وألشي alse شمال نهر دجلة. وفي عام 1470 وسعت مملكة ميتاني منطقة نفوذها نحو الغرب باتجاه سواحل البحر المتوسط، واحتلت مملكة حلب التي كانت قد استعادت استقلالها بعد احتلال الملك الحثي مورشيلي الأول لها، وحكمت من قبل ملوكها شارا - إل el - sarra وأبا - إل el - abba وإليم - إلما ilimilimma وبسطت نفوذها على الدويلات الصغيرة الواقعة إلى الغرب منها مثل نيا niya وأما amau وموكيش mukis. وقد حدث تمرد في حلب، كان بالتأكيد بدعم من ميتاني، أجبر إدريمي idrimi بن اليم - إليما آخر ملوك حلب المستقلين على الفرار مع أخوته إلى مدينة إيمار emar (مسكنة حالياً) على الفرات. وهكذا استطاع الملك الحوري باراتانا parrattarna مدَّ نفوذ مملكته حتى سواحل البحر المتوسط. فيما بعد حدثت مصالحة بين باراتارنا وإدريمي ونصب إدريمي ملكاً على ألالاخ.

وشملت منطقة نفوذه عدا موكيش نيا وأماؤ، بينما بقيت حلب خاضعة لملك ميتاني.

يصف إدريمي كل هذه الأحداث في سيرته الذاتية التي كتبها على تمثال له اكتشف في مدينة ألالاخ عاصمته. ويذكر إدريمي باراتارنا في هذه السيرة كملك للحوريين ويصفه بالملك القوي. وهذا يدل على أن مملكة ميتاني كانت تتمتع بقوة كبيرة في ذلك الوقت.

كان إدريمي خاضعاً لملك ميتاني وعليه دفع جزية له، ولكنه احتفظ بحق عقد معاهدات مع الملوك الآخرين، وذلك في إطار خضوعه لملك ميتاني وبما يتناسب مع مصلحة إمبراطورية ميتاني. ويتضح هذا من خلال معاهدة عقدها إدريمي مع ملك كيزو واتنا، وذلك بعد أن خاض ضده معركة مظفرة. تغير الوضع في سورية فيما بعد نتيجة سياسة التوسع التي اتبعها الفراعنة المصريون في سورية. ففي عام 1458ق.م حقق تحوتمس الثالث نصراً عند مجدو (موقع تل المتسلم في شمال فلسطين) ضد تحالف سوري تحت قيادة ملك قادش. ومن المحتمل أن تكون إمبراطورية ميتاني قد دعمت هذا التحالف لإيقاف التوسع المصري في سورية[1]. وفي حملة تالية استطاع تحوتمس الثالث احتلال قلعة قادش، ووجه حملاته التالية ضد منطقة نفوذ ميتاني غرب الفرات.

وفي عام 1447 وصل تحوتمس الثالث إلى منطقة كركميش، وعبر الفرات دون أن نسمع عن أي إجراءات ميتانية ضده. ولكن رغم انتصاراته العسكرية، لم يستطع الفرعون المصري أن يحول سورية إلى جزء مستقر من إمبراطوريته. وكانت حملته الأخيرة عام 1438 موجهة ضد تمرد مدن تونيب tunip وقادش والذي دعم من قبل مملكة ميتاني.

1- د. عيد مرعي ود. محمد حرب فرزات: دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ص 165.

أهم ملك ميتاني كان على الأرجح شاوشتتار، الذي حكم بعد حملات تحوتمس الثالث ضد سورية. وأصبحت منطقة نفوذ مملكة ميتاني في عهده تمتد من جبال زاغروس في الشرق وحتى سواحل البحر المتوسط في الغرب.

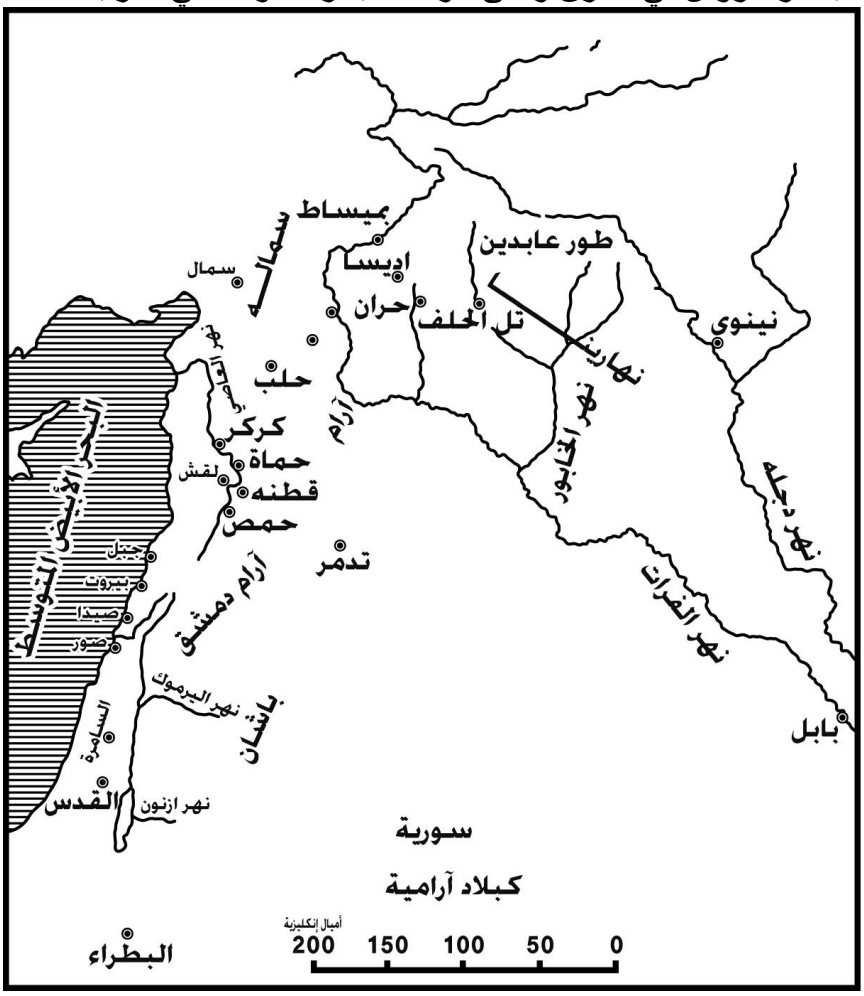

وكان موقع شاوشتتار مدينة واشكوكاني wassukkani التي كانت عاصمة (إمبراطورية) ميتاني.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها علماء الآثار، فإنهم لم يوفقوا حتى الآن في تحديد موقع هذه المدينة بدقة. ولكن من المعتقد أن واشوكاني ترقد تحت (تل الفخارية) بالقرب من رأس العين. لذلك فإن معظم معلوماتنا عن تاريخ مملكة ميتاني نستقيه من مراسلات تل العمارنة ومن مصادر حثية.

من الجدير بالذكر أنه كان للعناصر الهندو أوروبية دور بارز في تاريخ إمبراطورية ميتاني. وقد امتزجت هذه الجماعات الهندو أوروبية بالحوريين منذ

عصر مبكر، وأسهمت فيما بعد في إنشاء دولة ميتاني وتطوير مقدرتهم العسكرية، وبخاصة استخدام العربات الحربية التي تجرها الخيول، لذلك فإن تأثيرهم يبدو واضحاً في مجالات مختلفة. وكان ملوك إمبراطورية ميتاني يحملون جميعاً أسماء غير حورية، وكان بعضهم يحمل أسماء هندو أوروبية. كذلك فإن اللغة الحورية تتضمن العديد من الكلمات الهندو أوروبية.

توجد في نصوص نوزي إشارات عديدة إلى الخيول، وهي بالتأكيد هندو أوروبية. كان لدى الآريين خبرة كبيرة في تربية الخيول وتدريبها، وكان الحصول على الخيول والعربات الحربية واقتناؤها عملية مكلفة جداً، لذلك اقتصر ذلك على طبقة غنية كانت تعرف من خلال ذلك في أرابخا. واستمر الصراع ما بين مملكة ميتاني ومصر من أجل السيطرة على سورية حتى عهد تحوتمس الرابع (1400-1390) الذي خلف لنا خبراً عن حملة له ضد نهارينا أي ميتاني. بيد أن تغييراً جذرياً طرأ على العلاقات ما بين القوتين الكبيرتين في عهد هذا الفرعون. بعد أن كانت هناك اتصالات دبلوماسية في عهد أمنحوتب الثاني (1428-1400) عقد اتفاق للسلام ختم بزواج ربط بين العائلتين الحاكمتين. فملك ميتاني أرتاتاما الأول artatama I، ربما ابن شاوشتتار، أرسل إلى الفرعون المصري ابنته لتكون زوجة له.

وضع الاتفاق بين القوتين أسساً للعلاقات بينهما وحدد مناطق نفوذهما. وصل النفوذ المصري إلى الساحل السوري (أوغاريت)، بينما كانت الحدود في الداخل تمر في سهول حمص، وكانت مدينتا تونيب وقطنه (المشرفة حالياً) تابعتين لمملكة ميتاني، أما أمورو وقادش فكانتا تحت النفوذ المصري[1].

وقد هوجم توشراتا، الصديق الموالي لمصر قبل انتهاء حكمه، من قبل الفاتح الحثي العظيم شو بيلو ليوما الذي تابع فتوحاته أثناء حكم ماتيو زا ابن توشراتا. وقد نصت معاهدة بين شوبيلو ليوما وماتيو زا على احتفاظ الفاتح الحثي بشمالي سورية، على أن تكون حدودها الفرات في الشرق ولبنان في الجنوب.

أما القسم الباقي من المملكة، فقد أصبح قسماً من الإمبراطورية الآشورية المتوسعة في عهد وريثة شلمناصر الأول. وهكذا زالت دولة كانت في أحد العصور تشارك مصر والدولة الحثية السلطة العالمية[2].

الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

تظهر الأساطير والطقوس الدينية الحورية أن الصيد كان وسيلة أساسية لتأمين الغذاء لدى الحوريين في عصور ما قبل التاريخ، كما نجد أن شهرة القوس الميتاني خلال القرن الرابع عشر ق.م تجاوزت حدود البلاد. ولكن هذا لا يعني أن

1- المرجع السابق، ص 166-167.

2- د. فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ص 163.

الحوريين لم يكونوا ماهرين في الزراعة خلال العصور السابقة لظهورهم في تاريخ آسيا الغربية الموثق في المصادر الكتابية. ويتضح من بواكير الحضارة - خلال الألف الثالث ق.م - في مناطق القفقاس، التي كانت أجزاؤها الجنوبية الشرقية موطناً للحوريين قبل انتقالهم إلى بلاد الهلال الخصيب، أن الاعتماد الرئيس كان على الزراعة وتربية الحيوان.

استقرت المجموعات البشرية الحورية التي هجرت إلى الهلال الخصيب - نتيجة توافر ظروف سياسة مناسبة وزيادة الضغط السكاني - بشكل أساس في تلك المناطق التي يصل فيها المعدل السنوي لكمية الهطل المطري إلى أكثر من 200مم، والتي تتميز بخصوبة أراضيها. ولم يكن للسقاية هناك سوى دور ثانوي في زراعة الشعير الذي كان أهم مصدر غذائي، وذلك لأن السقاية لم تكن ضرورية وإنما كنت مجرد مساعدة على زيادة الإنتاج. أما الواحات النهرية الموجودة في مناطق الفرات الأوسط والأجزاء السفلية من نهري البليخ والخابور، فقد بقيت خارج إطار مناطق الاستقرار الحوري[1].

- منطقة جوكوروفا (الجزء الجنوبي من بلاد كيزفتنا).
- سهل العمق في مناطق العاصي الأسفل (ألالاخ).
- منطقة حلب (خلب).
- المناطق المحيطة بمدينتي حماة وحمص في العاصي الأعلى (قطنه، قادش).
- سهل الفرات شمالي مسكنة (إيمار).
- السهول الزراعية في شمال شرقي سورية (ميتاني - خاني جلبت).
- بلاد آشور ومناطق كركوك (أربخا).

كانت قرى هذه المناطق - على خلاف مناطق جنوبي بلاد الرافدين المعمدة على السقاية - خالية من المشاريع التي تتجاوز الإطار المحلي، ومنعزلة نسبياً. ومن ناحية ثانية كانت تتميز عن المناطق الرافدية بانتشار ظاهرة التجمعات المتضامنة (الجمعيات) التي كانت تقوم جزئياً على صلات القربى، وتعكس وجود علاقة بين الأسرة وملكية الأرض. ويتضح من تلك العلاقة أنه كان يتم التصرف بالأراضي كأي ملك منقول.

وكانت الطبقة العليا، التي نشأت من خلال أعمال الاحتلال الحربية، تسعى إلى تحقيق حصة من الإنتاج الزراعي في البلاد لنفسها، وتعامل القرى ككيانات عليها واجبات لهذه الطبقة العليا. وكان هذا النمط من قوة التصرف والسيادة على

1- جرنوت فيلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة وتعليق د. فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب - سورية 1999، ص 87.

كل القرى مقتصراً على نخبة صغيرة عددياً، وتتألف بشكل خاص من أفراد الأسرة الملكية في الدول الحورية المختلفة.

أما طبقة الـ «مري يني نا» العليا الأكبر عدداً والمتميزة بوظيفتها العسكرية، فقد صارت معنية بشكل أقوى بأنظمة الإنتاج الزراعي، وذلك من خلال تخصيصها بقطع من الأراضي كانت تستثمرها لنفسها بواسطة أسر كبيرة أو صغيرة عدداً، وغالباً ما كانت تشاركها مجموعة من العبيد. وقد أسهمت هذه الطبقة - بشكل أو بآخر - في عملية التطور التي أدت إلى تغير النظام الزراعي بشكل عام - أو على الأقل في المناطق الشرقية - ويتمثل ذلك في بروز نهضة في مجال امتلاك الأراضي الزراعية.

وبذلك فقد تحول قسم من الـ «مري يني نا» إلى ملاكين كبار على حساب آخرين صاروا فقراء. وبينما بقي الانتماء إلى هذه الطبقة في مناطق أربخا (كركوك) مرتبطاً بامتلاك عربة حربية، كانت المناطق الحورية قد تحررت من هذا الشرط، وصار الانتماء فيها صفة اجتماعية وراثية[1].

إن مصادر دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والمؤسسات الإدارية والأنظمة القانونية المتوافرة - للأسف - جزئية غير شاملة للمناطق كلها، كما هي الحال بالنسبة إلى مصادر الحياة الدينية.

إن عدداً من مدن بلاد أربخا كانت تحتوي على قصور، ولا تتوافر لدينا حقائق واضحة عن مساحات الحقول التي كان يستثمرها القصر الملكي.

كان القصر يؤمن حاجاته من الشعير من القرى التي تتميز بأنها من أملاك القصر. وتبقى صيغة العلاقة القانونية بين القصر وتلك القرى غير واضحة، وكذلك التسمية الدالة على ملكية كل من الطرفين في هذه الحالة، وكيفية توزيع المحاصيل بينهما[2].

ويبدو أن محاصيل الحبوب الواردة إلى القصر كانت توزع داخلياً، ومن أبرز مستهلكيها المجموعات الآتية:

1- الملك والموظفون الكبار والمندوبون الأجانب وخيولهم.

2- الملكات والأمراء القاصرون سناً والأميرات اللواتي كن يقيمن في أجنحة النساء (الحرملك) ضمن القصور الملكية. إضافة إلى النساء المغنيات.

3- العبيد الذين كان قسم كبير منهم يعمل في مجال تصنيع الصوف.

ويبدو أن صناعة النسيج كانت من أهم الأعمال الإنتاجية في القصر. وكان القصر يربي قطعاناً من المواشي، ويقوم برعايتها عبيد القصر، وكذلك عدد كبير من الأحرار الذين كانوا يعملون لدى القصر كرعاة. وكان لكل قصر حصة

1- المرجع السابق، ص 88.

2- نفس المرجع، ص 90-91.

ضريبية محددة تفرض على قطع الثياب المنتجة التي كانت بلا شك أهم مادة تصديرية في أربخا.

أما فيما يتعلق ببيع المنتجات فقد كان هناك تجار مسؤولون عن ذلك، ونلاحظ أنهم يذكرون ضمن عبيد القصر. وكان هؤلاء التجار يقومون بجولات تجارية خارج البلاد، وينجزون خلالها طلبات شراء معينة، ورغم ارتباطهم بالقصر، فقد كانوا في الوقت نفسه يؤمنون طلبات الأفراد أيضاً. وكانت الصادرات هي المنتجات النسيجية وكذلك العبيد. أما أهم المواد المستوردة فكانت المواد المستخلصة من النباتات والصوف.

كان القصر معنياً - إلى جانب الأمور الاقتصادية - بالمسائل العسكرية المرتبطة بدوره التجاري المركزي، فيقوم بتنظيم عمليات استيراد المعادن (المعادن النفيسة، النحاس، القصدير)، ثم يتم تصنيعها من قبل الحرفيين التابعين للقصر بهدف تأمين المعدات العسكرية. وكان في القصر مصنع تصنع فيه الدروع للمحاربين وأسلحة متنوعة[1].

الحياة الدينية:

إن الديانة الحورية هي بلا شك كالتركيب العضوي ذات طبقات كثيرة، نشأت من عناصر متعددة قامت على مر السنين. لقد اقتبست بعض هذه العناصر من العالم السومري - الأكادي، بينما تسرب إليها القسم الآخر من منابع جديدة ذات صفة سامية غربية. يضاف إلى ذلك القسم الذي اصطحبه الشعب الحوري معه وما أتت به الطبقة الهندية الغربية الحاكمة.

أما فيما يخص التأثر بالبابليين، فلدينا نصوص حورية وجدت في ماري في قصر زيمريليم، الملك المعاصر لحمورابي، والتي تتألف من نصوص لتعاويذ بابلية الصفة، ترجمت إلى الحورية لهدف الاستعمال الخاص بالحوريين.

ولم تكن تلك الكسر من الرقم الطينية لملحمة جلجامش باللغة الحورية التي عثر عليها في عاصمة الحثيين حاتوشا، سوى البرهان القاطع على أن الحوريين لم يكونوا دؤوبين على اقتباس الحضارة البابلية وحسب، بل قاموا أيضاً في كثير من المجالات الأخرى بدور الوسيط في نقل هذه الحضارة إلى شمال - غرب وغرب الشرق الأدنى.

لم تقتصر الديانة الحورية بتأثيرها من خلال الشخصيتين الرئيستين في مجمعها اللاهوتي وهما إله الطقس تيشوب وزوجته شيبات فقط على شمال بلاد الشام، بل تعدته بصورة خاصة وبشدة على الحثيين أنفسهم، وخاصة في الحقبة الأخيرة من حياة المملكة الحثية. كذلك لم يعد هناك مجال للشك، في أن رسمي الإلهين الرئيسين لرتل الآلهة الاحتفالي في باتسيليكايا، بالقرب من العاصمة

1- المرجع السابق، ص 92-93.

حاتوشا، هما «تيشوب» و «شيبات»، وذلك اعتماداً على الاسم المنقوش بالكتابة الحثية الهيروغليفية إلى جانب كل إله في هذا الرتل. كذلك لا بد أن تكون الربة عشتار أيضاً (إلهة نينوى) قد اصطبغت بالصبغة الحورية، خاصة إذا علمنا بأن حتى فراعنة مصر قد مجدوا فعالية بركتها، وبالتالي أثرت بمفهومها الحوري على الديانة الآشورية، طالما أنها على صلة بالربة الحورية شاوشكا التي هي بمنزلة عشتار[1].

وهكذا يمكن تمييز ثلاثة عناصر أساسية في تركيب البناء الذي يمكن أن نصفه بالديانة الحورية، وهي:

1- التقاليد الدينية الموروثة التي جلبها الحوريون معهم من أقدم مواطنهم المعروفة لدينا في كردستان.

2- التأثيرات السومرية - الأكادية.

3- التأثيرات السلبية الغربية - السورية.

واستناداً إلى مجموعة من بقايا نصوص كتابية وجدت في حاتوشا وعلى التراجم الحثية من الحورية التي وصلتنا، يبدو أن تأثيرات أبي الآلهة الحورية كوماربي كانت أكثر بعداً وأشد عمقاً، حيث وصل به المطاف ليكون المحور الرئيس لأسطورة حورية. كما وتوجد أوجه شبه قوية بين كوماربي هذا وبين كرونوس اليوناني أبي الآلهة أيضاً بالشكل الذي وصف به الأخير من قبل هيزيود؛ بحيث يجب أن يكون هناك ارتباط بين الاثنين. ففي حين اعتقد سابقاً أن نقل عناصر الأساطير الدينية الحورية إلى المدن اليونانية في آسيا الصغرى إنما قد تم عن طريق الترجمات الحثية، أصبح من المؤكد الآن، أن مثل هذا الاتصال بين الحوريين واليونانيين إنما قد حصل عن طريق الساحل الفينيقي ومنطقة كيليكيا. وترجيحاً لذلك فقد ثبت مثلاً أن نصوص الأساطير الدينية الفينيقية التي وجدت في رأس شمرا على ساحل بلاد الشام والتي كتب بعضها بالخط المسماري الأبجدي الخاص برأس شمرا، كثيراً ما تتعرض لذكر اسم جبل صافون. ومن جهة أخرى فليس هذا الجبل في الواقع سوى جبل هزى الذي نجد ذكره في مزمور أو لليكومي لأسطورة كوماربي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فهو جبل مونس كاسيوس (الأقرع) الذي تذكره قصة تيفون اليونانية. لم يكن هذا الجسر الواصل بين الحوريين واليونانيين عن طريق الساحل الفينيقي، كما استطعنا هنا بالتأكيد إعادة تركيبه، على الأرجح، إلا واحداً من صلات وصل متعددة. ولو استطعنا الكشف عن عدد مشابه له، لبانت لنا على الأرجح جوانب أخرى من فجر الحضارة اليونانية أكثر وضوحاً بتسليطنا أضواء كشافة أخرى عليها[2].

1- انطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، مرجع سابق، ص 209-211.

2- المرجع السابق، ص 211-212.

وإلى جانب القوى العليا، أي الآلهة الحورية المذكورة أعلاه، التي شكلت في الوقت نفسه ركائز الطقوس الدينية للدولة وجوهر الأساطير المنظمة من قبل الكهنوت، يعود فيظهر في فن الاعتقاد الشعبي القديم قوى إلهية أخرى اعتقد بها الإنسان، والتي تجدد بعث استمرار الحياة من الموت وفوق الموت متخطية حدوده.

إن دائرة الآلهة الحورية الغربية التي تتكشف أمامنا في ضوء قوائم النذور الحثية - الحورية التي وصلتنا من بلاد كيزفتنا، ومن خلال المعبد الصخري الحثي المكتشف في يازيلي كايا، هي في الواقع نتاج تركيب خالص بين التقاليد الحورية والمعتقدات التي تعرف عليها الحوريون في شمال سورية. وقد قدمت لنا النصوص المكتشفة في إبلا - التي تعرفنا من خلالها إلى مجمع الآلهة في شمالي سورية خلال العصر ما قبل السرجوني - الدليل المنتظر على ان تلك الآلهة المعروفة في الإطار الحوري الغربي والمجهولة في الوقت ذاته - في الإطار الشرقي، تعود إلى أساس حضاري سابق للحوريين. ونذكر منها في الدرجة الأولى إله الحرب اشتابي astabi الذي عد اسمه حورياً، كما يعود إلى مجموعة الآلهة الشمالية السابقة للحوريين الإله أدما adamma والإلهة إشخارا ishara التي صارت فيما بعد في بلاد آسيا الصغرى إلهة للقسم والمرض.

ومن الآلهة المعروفة في الغرب فقط الإلهة ألاني allani إلهة العالم السفلي التي لا يمكن فصلها عن الإلهة ألا تم المعروفة من قبل في عصر سلالة أور الثالثة. ولا شك في أن اسم ألاني ذو صلة بالكلمة الحورية ألاي «سيدة»، أما الاسم ألا تم فلم يقدم له تفسير أكادي مقنع حتى الآن. وبذلك فإن هذا الربط بين ألاتم وألاني يشكل القرينة الأولى والوحيدة - حتى الآن - الدالة على وجود الحوريين في شمال سورية منذ نحو 2200ق.م.

تذكر الأساطير والشعائر الدينية والمعاهدات الدولية الحثية مراراً مجموعة متنوعة التركيب من آلهة العالم السفلي، لا نجدها إلا في نصوص ختوشا. وهي آلهة يمكن إرجاعها بوضوح إلى المعتقدات الدينية الحورية. إنها الآلهة المسماة بـ «الآلهة بالغة القدم» المنتمية إلى أجيال الآلهة المبكرة التي أبعدها إله الطقس إلى العالم السفلي.

ونجد في المقابلة السحرية بين «الطهارة» و «النجاسة» أن آلهة العالم السفلي «بالغة القدم» تمثل الوجه السلبي للآلهة السماوية الحاكمة، لأنها افتقدت نصيبها من السيادة الإلهية فلا تتوافر فيها الصفة النوعية الأساسية للآلهة العليا وهي أن تكون طاهرة بالدلالة السحرية لهذه الصفة. وهذه الطهارة شرط للتأثير الإلهي، وافتقادها - بسبب خطايا دينية مثلاً - يسبب توقف الفعالية الإلهية، ما يؤدي إلى نتائج تؤثر بشكل سلبي على سعادة البشر.

إن آلهة العالم السفلي - من هذا المنظور - هي الصورة النقيضة تماماً للآلهة العليا، «والنجاسة» لا تؤثر فيها، بل هي بالأحرى عالمها الحقيقي. ولذلك يتوسل

البشر إليها لإبعاد نجاسات قد تتكشف في صيغة موسم حصاد سيء أو اغتيال أو وباء أو يمين كاذب عن وجه الأرض وإيداعها في العالم السفلي[1].

إن الأعداد الضخمة من الأختام الاسطوانية المعروفة والمصنوعة من الخرف وكذلك طبعاتها على الرقم الطينية التي وجدت في جميع أنحاء المحيط الحوري – الميتاني، تقدم لنا رصيداً ضخماً من رسوم تخص إلى حد ما تصوير آلهة الدولة، فتعرضها لنا في وضع الصلاة أو رتل قيادي. أما من ناحية أخرى، فنجد أن جميعها تقريباً يعود فيعتمد الاعتقاد السومري القديم وتعابيره التصويرية الرمزية المجردة، مذهب أنيسن - تموز.

يشكل المشهد القديم للاعتقاد ببعث الحياة بعد الموت أي الشجرة التي تقع بين حيوانين أليفين المواضيع التي تطرقها الأختام الحورية. ولقد عاش هذا النمط من الاتجاه الديني كما رأيناه تطوراً طويلاً إلى أن تجسد في ممثله الأول مردوك الإله الأكبر والأعظم لمملكة حمورابي.

وكما نرى فإن صلة الوصل المعنوية بين إله الشمس وبين إله يموت ويبعث تنجسم نظرياً بالإله مردوك للعصر البابلي، ونجد في أكثر الأحيان أن هذه الفكرة تجسده على الأختام الحورية، بالشكل المحور أو الطبيعي لشجرة الحياة المرتبطة بقرص مجنح للشمس لتنشأ منهما وحدة تامة متراصة. ولتكن جهة مصدر الشمس المجنحة في الفن الحوري أيا كانت، فإن معناها كرمز لإله الشمس يبقى واضحاً لا يداخله الشك. ولذا فإذا ما وجدنا الشعار القديم للشجرة بين حيوانين، الشعار الذي هو رمز الإله الحي للعالم السفلي، متصلاً اتصالاً وثيقاً برمز لأحد آلهة الشمس، فيكون بذلك وجه الشبه بين هذه الفكرة التصويرية وإله بمنزلة مردوك واضحاً لا يحتاج إلى نقاش.

ولا يصادفنا فقط على الأختام الحورية مشهد تلك الشجرة بين حيوانين والشمس المجنحة ترفرف فوق الجميع، بل إننا لنجد أيضاً الكثير من العناصر الجانبية التي تشكل كلها مجموعة من الصور لذلك الاعتقاد القديم للعالم السفلي. إنها تعود الآن إلى الظهور بشكل رئيس بعد أن قدر لها أن تلعب فقط دوراً ثانوياً لمدة طويلة خلال عصر السلالة السومرية الثالثة والسلالات السامية الغربية. فعلى الخاتم الأسطواني لـ «شاوشتتار» نجد شجرة الحياة وكأنها كالعلم تُتوّجه شمس مجنحة. وليس على جانبيها كما في العادة حيوانات أليفة، بل أعداءها التقليديين ألا وهم الأسود، الذين نعرفهم منذ العهود القديمة رمزاً للموت والفناء. وعلى مكان آخر من الختم نجد أيضاً المشهد القديم الثاني لمذهب أنين - تموز ألا وهو صراع البطل مع الأسد. كما لا تخلو أكثر الأختام الحورية العادية من مشاهد الصراع بين الأسد والثور ولا من العناصر التصويرية للحيوانات الخرافية المجنحة كأبي الهول

1- جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 107-108.

مثلاً والطير الخرافي والأسد المجنح، التي كثيراً ما نرى استخدام رسومها يزداد في الفن منذ عصر الساميين الغربيين في شمال ما بين النهرين.

أضف إلى ذلك استخدام مشهد الحراس الآدميين الذين يقفون على جانبي الشجرة المقدسة، كما نراهم يرسمون أحياناً مزودين بأجنحة، ومثلهما أيضاً ذلك البطل المصارع الذي يهم بقهر أسدين معاً. أما تموز فقد انحطت مرتبته هنا ليصبح جنياً مجنحاً من الدرجة الثانية. وبهذا نعثر هنا على كافة جوانب عالم الأرواح الخيرة والشريرة التي تحمي وتهدد الحياة هنا في دار الفناء وهناك في دار الخلود، حيث تظهر الآن بكثرة وبوضوح في أشكال صور هذه الحيوانات الخرافية. وبالإضافة إلى هذا نصادف كذلك أحياناً على الأختام الحورية رسوم منظر المدامة أي المشهد القديم للحفلات كاختصار رمزي تصويري لأعراس الآلهة المقدسة، التي كانت تشكل إحدى المواضيع الهامة في الفن التصويري الديني القديم عند السومريين. ومن ناحية أخرى فإذا ما ارتبط مشهد الصراع على العربة مع مشهد شجرة الحياة، فيجوز لنا الظن نتيجة ذلك، أن نرى في القتال على العربات حتى عند الحوريين صراعاً رمزياً للملك ضد قوى الظلام والفوضى وضد الموت، تماماً كما أصبح عليه الحال مؤخراً عند الملوك الآشوريين. وعلى ما يبدو فقد أثر هنا نمط الحياة الخاص للفروسية الحورية - الميتانية بإعادة رسم مشاهد لتخيلات دينية قديمة عندهم[1].

الأدب:

أسهم حوريو بلاد الهلال الخصيب منذ زمن مبكر في التراث الحضاري السومري - الأكادي المدون، ويتمثل ذلك في أشكال من النصوص يصعب تمييزها عن بعضها، ونصفها كلها بالنصوص الأدبية.

ليس المهم وصفها اعتماداً على معيار المضمون أو الشكل الشعري، بل الأهم هو إدراك حقيقة أن تلك النصوص نسخت مراراً - لأغراض تدريبية غالباً - وأنها في مجموعها تعكس تيار التراث والتواتر الحضاري لتقاليد الكتابة. وتضم مجموعة النصوص هذه قوائم بالعلامات الكتابية ومعجمات لغوية وقوائم بالمترادفات من الكلمات، إضافة إلى مجموعة النبوءات والتعويذات والأساطير والملاحم والحكايات الخرافية والأمثال وغيرها.

لقد أسهم الكتاب الحوريون في الحضارة الرافدية وأغنوها بأشكال شتى، نذكر منها:

- أخذوا أعمالاً معينة شائعة، وأعادوا صياغة موضوعاتها بأسلوبهم الكتابي الخاص.
- ترجموا نصوصاً إلى لغتهم.

1- انطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 213-214.

- أخذوا أحداث مرويات شفاهية أو كتابية، وصاغوها بلغتهم صياغة جديدة.
- وسعوا نطاق المجموعة الكاملة للنصوص الأدبية بأن أضافوا إليها نصوصاً (أساطير وتعويذات) من تراثهم الخاص.

إن الفضل في ما نعرفه عن اقتباسات الكتاب الحوريين وعنايتهم بالأدب السومري والأكادي يعود - بشكل أساسي - إلى النصوص المكتشفة في حاتوشا وأوغاريت وإيمار. كما كشفت في العمارنة بمصر النصوص الأدبية المتفرقة التي ترجع إلى تقاليد الكتاب الحوريين.

لقد تم التأكيد مراراً على دور الحوريين في عملية انتقال الأدب الأكادي إلى المشرق المتوسطي، ولكن يتوجب بالطبع عدم المبالغة في ذلك، إذ يمكن أن نستخلص من قرائن كثيرة أن مدارس تعليم فن الكتابة كانت مزدهرة في شمالي سورية خلال العصر البابلي القديم، وكانت هذه المدارس ترجع إلى موروث قديم طويل العهد، كما كان لها تواصل مع التطور الأدبي في بلاد بابل. ووجدت خلال العصر البرونزي المتأخر صلات بين المدارس الحثية والسورية والبابلية والأشورية، وتلقي نصوص المكتبة المكتشفة مؤخراً في مدينة إيمار أضواءً على ذلك[1].

يمكن القول إن الكتَّاب الحوريين شاركوا في صياغة ثقافة كتابية مدونة تجاوزت الحدود اللغوية والسياسية والدينية. وتركز ملاحظاتنا الآتية على تلك الأعمال ذات الأصل السومري - الأكادي التي تميزت خلال استخدام اللغة الحورية في صياغتها.

اكتشفت في أوغاريت نسخة من الرقيم الثاني من سلسلة HAR-RA-HUBULLU المعجمية المصنفة وفق الموضوعات. ونجد فيها، إلى جانب العمود الذي يتضمن الكلمات السومرية، عموداً تعرض فيه الترجمات الحورية للكلمات. وتظهر في اللغة الحورية المستخدمة فيها فروق واضحة - من حيث الصيغ - تميزها عن المستخدمة في نصوص أخرى من النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وتبلغ تلك الفروق درجة دفعت بعض الباحثين إلى القول بأنها تمثل لهجة خاصة.

كما عثر في أوغاريت أيضاً على كسر عدة دُونت عليها قوائم مفردات مرتبة وفق أشكال العلامات المسمارية التي تبدأ بها. وهي مقسمة إلى أعمدة، عمود للمفردات السومرية وآخر للأكادية وثالث للحورية ورابع للأوغاريتية. وموقع

1- كشفت البعثة الفرنسية التي كانت تنقب في إيمار (تل مسكنة، نحو 90كم شرقي حلب) بإدارة مارغون خلال 1972-1974 عن أكثر من ألف وخمسمائة رقيم عليها نصوص سومرية وأكادية وحورية وحثية، تعود معظمها إلى القرن 13ق. م، ويشكل القسم الأكبر منها تكهنات أحد العرافين. وقد نشر الباحث د. آرنو ARNAUD النصوص السومرية والأكادية منها (نحو 800 نص)، ولم تنشر الحورية والحثية بعد. (جرنوت فيلهلم، الحوريون، ص 137).

العمود الحوري يدعو إلى استنتاج أنها انتقلت إلى أوغاريت عبر مدرسة كتابية حورية.

وهناك قائمة بأسماء آلهة في أوغاريت مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

سومري، حوري، أوغاريتي.

وهناك بعض الكسر التي تتضمن ترجمات حورية لنبوءات بابلية. وثمة رقيم يتضمن نص نبوءة بحدوث هزة أرضية، وهو يدل على انتشار مجموعات النبوءات الأكادية في المناطق الحورية الشرقية أيضاً، ويعد من أصول سلسلة النبوءات البابلية التنجيمية الضخمة المعروفة باسم «إنوم آن انليل».

أما الجنس الأدبي «أدب الحكمة» فمن نماذجه نص عثر عليه في أوغاريت، ويتألف من ثمانية سطور باللغة الأكادية وترجمة حورية لها.

ومن الملاحم الرافدية وصلتنا حتى الآن صياغة وحيدة باللغة الحورية لملحمة جلجامش ملك أوروك في عهد السلالات الباكرة. والكسر التي تتضمن النسخة الحورية - وكلها مكتشفة في حاتوشا موجزة جداً.

ويرجح أن الصياغة الحثية لبطولات جلجامش تعتمد على تقليد النماذج الحورية. ومما يشير إلى قدم نص ملحمة جلجامش الحورية ورود اسم جلجامش فيها بالصيغة القديمة له «بيلجامس» التي استخدمت في كتابات العصر الأكادي القديم وعصر سلالتي أيسن - لارسا[1].

لاحظ عدد من الباحثين وجود صلة قرابة بين اللغة الحورية واللغة الأورارتية التي دونت بها نقوش تعود إلى الفترة الواقعة بين القرنين التاسع والسادس ق. م، وقد أكد فريدريش تلك الصلة، ولا سيما في المجال المعجمي، في عدد من دراساته. وقد حققت دراسات الباحث الروسي دياكونوف وغيره خطوات مهمة في هذه المسألة، وتم الوصول إلى تحديد دقيق لدرجة القرابة بين اللغتين. وفي ضوء تلك النتائج واعتماداً على وضوح التطورات اللغوية ضمن اللغة الحورية ولهجاتها، يمكن للمرء أن يقول الآن، وبكل تأكيد، إن اللغة الأورارتية ليست متطورة عن اللغة الحورية، وإنما تشكل اللغتان فرعين منفصلين من لغة أم (اللغة الحورية - الأورارتية المبكرة)، وقد استقلت الواحدة عن الأخرى خلال الألف الثالث ق.م[2].

تتحدث المراسلات ما بين توشراتا ملك ميتاني والفرعون المصري أمنحوتب الثالث عن مشروع زواج الفرعون المصري من إحدى بنات توشراتا.

واستمرت المحادثات حول هذا الموضوع، وبشكل خاص حول المهر عدة سنوات.

1- جرنوت فيلهلم: الحوريون، ترجمة: د. فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، سورية، ص 139-136.

2- نفس المرجع، ص 22.

عن رسالة من توشراتا إلى الفرعون والتي تعد من أهم الوثائق الحورية المسماة: «رسالة ميتاني» أمكن معرفة الكثير عن اللغة الحورية. ربما أرسلت هذه الرسالة مع الأميرة تاتوخيبا HEPA - TATU (نفرتيتي) في رحلتها إلى الفرعون المصري. وفيما يلي مقاطع من الرسالة التي تمثل نموذجاً من المراسلات الدبلوماسية في ذلك العصر: «إلى نيموريا nimmuriya» (المقصود أمنحوتب الثالث) ملك مصري، أخي، صهري الذي أحبه والذي يحبني أقول:

هكذا يتكلم توشراتا ملك بلاد ميتاني، عمك الذي يحبك، أخوك. حالي جيدة. أرجو أن تكون حالك جيدة، أرجو أن تكون أحوال زواج ابنتي، وأحوال نسائك، أولادك، أعيانك، خيولك، عربات قتالك، قواتك، بلادك وممتلكاتك بخير.

أخي تمنى زوجة له وهاأنذا أرسلها إليه. وهي قد ذهبت إلى أخي. عندما تأتي سيراها أخي وسيرى مهرها. عندما تصل زوجة أخي سيراها وأرجو أن يجمع كل بلده والبلدان الأخرى وأن يكون النبلاء السفراء حاضرين.

أرجو أن يجعلني أخي غنياً في عيون سكان دولتي. وأرجو ألا يحزن أخي قلبي. لقد تمنيت من أخي تمثالاً من الذهب لابنتي. أنا أعرف بأن أخي يحبني كثيراً وأعرف أيضاً بأن الذهب موجود بكثرة في بلد أخي: كما أريد من أخي تمثالاً من العاج.

في بلادنا يسود السلاح. الآن لا يوجد عدو لأخي. ولكن إذا هاجم عدو أخي ودخل بلاده فعلى أخي أن يعلمني وستكون بلاد الحوريين (حورو) بأسلحتها وجيوشها تحت تصرفه. من ناحية أخرى إذا وجد عدو ضدي فسأخبر أخي وستكون مصر وجيوشها وأسلحتها إلى جانبي».

هذه الرسالة تبين لنا بوضوح العلاقات القوية التي كانت قائمة ما بين مملكة ميتاني من جهة ومصر من جهة أخرى في أيام الأسرة الثامنة عشرة. وبعد بضع سنوات من زواج /تاتو خيبا/ توفي الفرعون المصري أمنحوتب الثالث وخلفه على العرش أمنحوتب الرابع (أخناتون). وفي عهد هذا الفرعون ساءت العلاقات ما بين ميتاني ومصر. وربما كان السبب في ذلك هو ضعف موقف الحوريين أمام الحثيين الذين كانت قوتهم في تصاعد مستمر. يضاف إلى ذلك أن أمنحوتب الرابع كان منشغلاً بالإصلاح الديني في مصر وبفكرة الإله الواحد[1].

فن مملكة ميتاني:

لا يمكن عرض وصف عام شامل للفنون التشكيلية في مناطق اللغة الحورية، وذلك لأننا لا نجد فيها تماثيل تذكارية إطلاقاً، ولا تتعدى الشواهد الفنية المتوافرة بكثرة نوعين من الفنون التطبيقية هما: فن صناعة الفخار وتزينه، وفن نقش الأختام الأسطوانية. ويظهر كلاهما أن الوحدة السياسية لمملكة ميتاني فسحت المجال أمام

1- د. عيد مرعي ود. محمد حرب فرزات: دول وحضارات في المشرق العربي القديم 168-169.

الانتشار السريع للإبداعات الفنية، ولذلك فمن المبرر حقاً الحديث عن فن مملكة ميتاني.

عثر في مدينة أوركيش الرافدية الشمالية على تمثالين لأسدين من البرونز، وعلى كل منهما نقش كتابي يوضح أنهما يمثلان «حجر الأساس» لبناء معبد للإله نرجال في عهد الملك تيش - أتل، وهما الشاهدان الوحيدان - حتى الآن - على الإبداع الفني في مركز حوري خلال أواخر الألف الثالث ق. م. وهما مصنوعان بتقنية نوعية بارعة، ويعكسان تأثراً كبيراً بالأسلوب الرافدي في تصوير الأسود.

من أهم الأعمال التشكيلية المجسمة في مناطق السيادة الميتانية خلال القرن الخامس عشر ق.م تمثال إدريمي ملك ألالاخ الجالس على عرشه. وينسجم هذا التمثال مع تقاليد الفن السوري القديم، ولكنه يفتقر إلى ما عرف عنه من دقة التشكيل ورشاقة الخطوط.

وعثر في بئر ضمن معبد الإله آشور في مدينة آشور على عمل من النحت النافر يصور إلهة جبلية مع عنزتين، وقد أرخ في القرن الخامس عشر ق.م اعتماداً على معطيات تاريخية وعلى طبيعة الأشكال المصورة فيه، وعد أنموذجاً مميزاً للفن التذكاري الحوري خلال عصر مملكة ميتاني. ولكن ثمة باحثين اقترحوا مؤخراً تأريخه في العصر الأشوري القديم.

بشكل عام يمكن القول إن الفن التذكاري كان خاضعاً لتقاليد محلية، بينما كان النشاط في مجال أعمال الفنون الدقيقة والتطبيقية يساعد على انتشار تقنيات وأساليب فنية وموضوعات فكرية معينة في إطار جغرافي واسع.

ظهرت في الشرق القديم، خلال القرن الخامس عشر ق.م، نماذج جديدة من القطع الفخارية، وانتشرت في مناطق مملكة ميتاني بدلالتها الواسعة، أي في المناطق المركزية وكذلك التابعة لها في الشرق والغرب. وهي تتميز بأسلوب تشكيلها وبزخارفها، والغالب بينها كؤوس رفيعة ذات قواعد صغيرة، تكون في هيئة أزرار أحياناً وعلى سطوحها ذات الألوان الغامقة (بني محمر، أسود) رسوم باللون الأبيض تصور أشكالاً هندسية (حلزونية، مثلثية، أشرطة مضفورة، خطوط متعرجة) وكائنات من الطبيعة (طيور، عنزات، سعف النخيل).

وتسمى هذه النماذج بـ «فخار نوزي»، وقد ظهرت أول مرة في مدينة نوزي ثم في الطبقة الرابعة من ألالاخ، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م، أي بعد نهاية مملكة ميتاني بزمن طويل.

وفي المرحلة الأخيرة من زمن انتشارها تطور عنها نوع جديد يسمى بفخار عطشانة نسبة إلى الاسم الحديث لموقع ألالاخ. ويتميز هذا النوع بزخارفه النباتية الأنيقة، ويركز تركيب ألوانه والأشكال المصورة عليه بالأشكال الفنية في قصور جزيرة كريت التي تعود جذورها إلى حقبة بعيدة سابقة لظهور فخار نوزي.

إن الأختام الأسطوانية المطبوعة على الرقم الطينية المكتشفة في مدينة أربخا ذات أسلوب متميز، وقد أطلق الاسم الحديث للموقع «أختام كركوك» عليها وعلى نماذج الأسلوب نفسه التي وجدت منتشرة في كل مناطق مملكة ميتاني وفي مناطق أخرى خارج نطاقها. والقسم الأكبر من هذه الأختام مصنوع من مادة متكلسة - يصنع منها الزجاج - أو من الخزف المزخرف، ويظهر فيها التسرع في صناعتها، ونقشت عليها زخارف بوساطة مثقب كروي الرأس ويصطلح على وصفها بـ «النموذج الشائع».

وإلى جانب هذه الأختام البسيطة التي كانت متوافرة للطبقة الفقيرة، وجدت أختام مصنوعة بدقة من مواد قاسية، ولا سيما من الحجر الأحمر (حجر الدم: هيماتيت) ويصطلح على وصفها بـ «النوع المتقن». ومن أروع أمثلة هذا النوع عدد من الأختام الملكية، ولا سيما ختم سوشتتار ملك ميتاني حوالي 1420ق.م، وختم إتخي - تشوب ملك أربخا الأحدث زمناً بقليل.

ومن الموضوعات المتميزة فيها: الكائنات المركبة (الإنسانية - الحيوانية) المجنحة، والشجرة التي تدعى «شجرة الحياة» وتكون قمتها في هيئة شجر النخيل، وقرص الشمس المجنح الذي غالباً ما يكون محمولاً من قبل كائنات مركبة، والأقنعة التي تدعى أقنعة حتحور، والكائنات الخرافية التي يصطلح على تسميتها بـ أبي الهول وغيرها[1].

وغالباً ما تكون الأشكال مبعثرة في المساحة التصويرية دون خطوط تحديدية، ويحرص على ملء المساحة بالأشكال، وليس من النادر أن يقسم جزء من المساحة بخط مستقيم أو منحن إلى مكانين[2].

وفي الختام تبقى تلك الصورة التي استطعنا رسمها للحضارة الحورية - الميتانية شاحبة متداخلة الألوان متعددة المشاكل لاضطرارنا إلى الاقتصار، عند انطلاقنا في البحث حول التاريخ الحوري - الميتاني، على تلك النتف الصغيرة والكسر المبعثرة من هذا الفن التي انبعثت من جوانب المنطقة الحورية.

ورغم أن الحفريات لم تستطع أن تقدم لنا حتى الآن شيئاً أثرياً من قلب هذه المنطقة، فإننا نلمس في كل خطوة نخطوها، على عكس العالم الكاشي، قوة الحياة الديناميكية الجبارة التي يتمتع بها هذا الشعب وطبقته الحاكمة لتغيير معالم الحياة الحضارية لكافة مناطق شمال ما بين النهرين بما في ذلك بلاد آشور وشمال بلاد الشام، وذلك من خلال الكنز الحضاري الذي خلفوه لشعوب الشرق الأدنى في كافة المجالات الحضارية الخصبة الغزيرة.

1- حتحور: إلهة مصرية قديمة، نسبت إليها وظائف متعددة: (حاكمة السماء والروح الحية للأشجار وإلهة السعادة والرقص والموسيقا). وظهرت في صور مختلفة: بقرة، لبوة. أما أبي الهول فهو تمثال لأسد مجنح مصري قديم.

2- جرنوت فيلهلم: الحوريون، مرجع سابق، ص 142-144.